

أبو القاسم الشابي شاعر الرومانسية

ABU AL-QASIM AL-SHABI, A ROMANTIC POET

د. أنصار أحمد¹

Abstract:

Abu al-Qasim al-Shabi occupied an important and lofty position in Arabic literature and gained more fame than many poets with their poems. He is a poet at the forefront of contemporary poets, even the diaspora poets with whom he was affected were less than him, and his poetry is an expression of humankind, emotions, and feelings. In this brief research, I dealt with the personality of Abu al-Qasim al-Shabi: his upbringing, education, love, death, and other factors that affected his personality, as well as his scientific and literary effects. In this research, I talked about being affected by the romantic tendency and his liberation from the old constraints and his coloring of Arabic poetry with new meanings of romanticism. In this research, I also dealt with romanticism in all its aspects and talked about major themes characterized by all the characteristics of the romantic doctrine, including emotional tendency, description of nature, woman, love, and a sense of pain and pessimism.

Keywords: Abu al-Qasim-al-Shabi, Tunisia, the poet, romanticism, Arabic poetry, the Arabic language.

الكلمات المفتاحية: أبو القاسم الشابي، تونس، الشاعر، الرومانسية، الشعر العربي، اللغة العربية.

الملخص:

لقد احتل أبو القاسم الشابي مكانة مهمة ومنزلة سامية في الأدب العربي، ونال من الشهرة أكثر مما ناله شعراء كثيرون بقصائد لهم فهو شاعر في مقدمة الشعراء المعاصرين حتى شعراء المهجر الذين تأثر بهم كانوا أقل منه، وأن شعره تعبير عن أفراد البشرية وأفراد العواطف والأحاسيس. وفي هذا البحث الوجيه تناولت فيه شخصية أبي القاسم الشابي: نشأته

¹ أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، سريناجار، جامو وكشمير،

وتعليمه وحبّه وموته وعوامل أخرى تأثرت بها شخصيته، وكذا تناولت آثاره العلمية والأدبية.

وتحدثت في هذا البحث عن تأثره بالنزعة الرومانسية وتحرره من القيود القديمة وتلويته الشعر العربي بمعان جديدة من الرومانسية، وكذا تناولت في هذا البحث الرومانسية بجميع نواحيها وتحدثت عن موضوعات رئيسية تتميز بكل مواصفات المذهب الرومانسي، منها النزعة العاطفية، وصف الطبيعة، المرأة، الحب، والإحساس بالألم والتشاؤم.

المدخل في الموضوع:

قبل الحديث والدخول في التفاصيل، لابد من الوقوف على حياتها والتعرف على مسيرتها الأدبية.

مولد أبي القاسم الشابي: ولد أبو القاسم الشابي في بلدة الشايبية، إحدى ضواحي مدينة توزر ببلاد الجريد من جنوبي تونس، عام 1909⁽¹⁾. وفي الشايبية نشأ أبو القاسم الشابي نشأته الأولى ومنها جاء لقب أسرة الشاعر. وأن والده محمد الشابي تلقى العلم في الجامع الأزهر، ثم التحق بجامعة الزيتونية بتونس وحصل على شهادة التطويق ثم عين قاضياً شرعياً فتصرف في قضاء كثير من البلدان التونسية⁽²⁾.

وقد تلقى أبو القاسم الشابي الدراسة الابتدائية على والده في بيته أولاً ثم لما بلغ الخامسة من عمره، فأرسله أبوه إلى الكتاب وحلقات دروس علماء البلدة وحصل على العلم فيها حتى الثانية عشر من عمره⁽³⁾.

ثم قدم إلى العاصمة سنة 1920 م والتحق بجامعة الزيتونية ودرس فيها علوم اللغة والأدب القديم والفقه والشريعة وما يتفق بها وحصل على شهادة التطويق سنة 1927 م ولكنه رأى أن هذه الشهادة لن تشق له طريق الحياة إلى كسب العيش، فأراد أن يلتحق بكلية الحقوق التونسية وفقاً لنصيحة والده⁽⁴⁾. وأتم دراسته في كلية الحقوق وحصل على الشهادة في سنة 1930 م.

وكان الشابي يطالع في الجامعة الزيتونية آثار كبار الأدباء العرب والأدب الإنكليزي والفرنسي والأمريكي المترجم فكانت شخصيته ثقافة وعلماء، حيث كتب أخوه محمد الأمين الشابي:

إن أخاه الشابي كون نفسه ثقافة واسعة عربية بحتة جمعت بين التراث العربي في أزهى عصوره وبين روائع الأدب الحديث بمصر والعراق وسوريا والمهجر، ولم يكن يعرف لغة اجنبية فتمكن بفضل مطالعته الواسعة من إستيعاب ما تنشره المطابع العربية عن آداب الغرب وحضارته وهذه المطالعة أثرت فيه تأثيرا عميقا..،⁽⁵⁾

وأصيب الشابي خلال مدة دراسته في كلية الحقوق بين 1928م و1930م بثلاث صدمات عنيفات : زواج غير موفق وحب دام وموت والده.

عقد الشابي قرانه عام 1928م ولكن حفلة الزواج تأخرت إلى عام 1930م و أن الشابي في الواقع لم يكن مائلا إلى الزواج وذلك لأنه كان يخاف في قلبه المرض، ولكن والده كان يجب أن يتخذ لنفسه عرق خلود وبقاء، وأحرص ما يكون على بقاء جذوره، مع أن أبا القاسم الشابي كان منكمش الفؤاد يتهيب الزواج بعقله المدرك.⁽⁶⁾

ولكن زواجه لم يكن موفقا وأغلب الظن أنه تزوج إرضاء لوالده، وإطاعة له، حيث يرى أبو القاسم كرو أن الشابي لم يكن موفقا في حياته الزوجية.⁽⁷⁾ ولكن زين العابدين السنوسي يرى ان الشابي كان في زواجه موفقا وان زوجته كانت تعطي كل ما وهبها الله وتشفق عليه وترضاه وترفق به.⁽⁸⁾

ويقول عمر فروخ: إن هذه الحياة الزوجية لم تستطع ان تهب الشابي الإطمئنان الذي ينعم به الإنسان عادة بالزوج فاندفع - ولما يمض عام واحد على زواجه - في تطلب سعادة موهوبة في حب فتاة ظن فيها تحقيقا لأحلامه.⁽⁹⁾ ولكن الشابي أحب فتاة بعد فتاة وظل تناسى حبه الأول وانتقل إلى حب جديد ثم إلى حب آخر فأخرفأصابته صدمات عنيفة في حياته.

أما وفاة والد الشابي فكانت الكارثة الكبرى التي حدثت في حياته والتي كانت أعظم رجة أصيب بها قلبه وأكبر مصاب نزل به في حياته.⁽¹⁰⁾ تأثر الشابي بهذه المصيبة العنيفة وصار مؤلما ومحزوننا بأعباء الحياة.

ضاعت صيت الشابي كشاعروأديب لما كانت أول نشراته في الصفحة الأدبية التي كانت ترتبها "النهضة" كل اثنين سنة 1926م وفي سنة 1927م ظهر شعره مجموعا في المجلد

الأول من كتاب "الأدب التونسي في القرن الرابع عشر" وفي نفس السنة التي ينادي قدماء الصادفية محاضرة حول "الخيال الشعري عند العرب" كانت مادة الكتاب الذي نشر بنفس العنوان في السنة التالية وقد أحدث كتابه "الخيال الشعري" ضجة كبرى واستهدف الشاعر بسببه حملة عنيفة ثبت لها ثبات الرائد المؤمن بما يقول. (11)

ويكتب أخوال الشابي محمد الأمين الشابي عن حال مرضه قائلاً:

"وفي سنة 1929 أصيب بدأ تخضم القلب، وهو في الثانية والعشرين من عمره، بيد أنه رغم نهي الطبيب لم يقلع عن عمله الفكري، وواصل إنتاجه نثراً وشعراً وشرع أثناء صيف سنة 1934م في جمع ديوانه "أغاني الحياة" بنية طبعه بمصر فانتخبه بنفسه بحامة الجريدة، مستعينا ببعض أدبائها، ولكن باغته المنية وحالت دون ما نوى، فقد إنتابه المرض بغاية الشدة وقصد تونس يوم 26 أغسطس سنة 1934م، وبها توفي يوم 9 أكتوبر سنة 1934م ثم نقل جثمانه إلى بلدة توزر، حيث قبره. (12)"

من آثاره العلمية والأدبية:

إن الشابي له آثار مطبوعة وغير مطبوعة ومن آثاره المطبوعة:

- 1- ديوان أغاني الحياة.
- 2- الخيال الشعري عند العرب.
- 3- قصائد نشرت في الجرائد والمجلات وفي كتب الدراسات قبل موته وبعد موته.
- 4- مقالات ومحاضرات نشرت في الجرائد والمجلات وفي كتب الدراسات قبل موته وبعد موته.
- 5- رسائل الشابي تبادلها الشاعر مع كثير من أدباء مصر وتونس وسوريا.
- 6- يوميات (مذكرات).
- 7- مذكرات (بعضها).

ومن آثاره غير المطبوعة:

- 1- له كتاب "شعراء المغرب الأقصى" محاضرة تناول فيها كتاب الأدب العربي في المغرب الأقصى لمحمد بن العباس القباج بالنقد.

2- رواية "المقبرة" انما نوع من الإعترافات، قص فيها على لسان بطلها حوادثه وتأثراته النفسية.

3- له كتاب "جميل وبثينة" وهي قصة رائعة كتبها بأسلوبه الشعري البديع.

4- له كتاب "الهجرة المحمدية" وهو محاضرة ألقاها في نادي الطلاب بمناسبة الهجرة المحمدية عام 1351م وله إضافة على ذلك مقالات مختلفة كثيرة وقصص أخرى⁽¹³⁾
عناصر تكوين شخصيته:

إن أهم العناصر التي لعبت دورا مهما في تكوين شخصية أبي القاسم الشابي هي الأحوال السياسية التونسية ومطالعته الكثيرة وحالته المادية ومرضه.

قد صار الشابي بسبب مرضه متشائما في الحياة والشعر وبذلك شعره مملوء بالتشاؤم وعلى ذلك يقسم محمد الحليوي تشاؤم الشابي إلى ثلاثة أطوار: طور التشاؤم القائم وهذا التشاؤم الذي لا سبب معروفا لأي شيء يشارك الشابي فيه كثيرا من صغار الشعراء ومقلديهم، وأما تشاؤم الشابي في الطور الثاني فكان تشاؤما مصحوبا بالتعليل ما نحن؟ ما الحياة؟ ما الموت؟ من أين جئنا وإلى أين نذهب؟ وأما الطور الثالث من أطوار تشاؤمه فيتبدد فيه شيء من غيوم الكآبة عن عيني الشابي وتشرق في ظلمات حياته ومضات من الأمل⁽¹⁴⁾.

وأما موت والده فألقى على كتفيه أعباء مادية وغمسه في تكاليف الحياة فأصبح مضطرا إلى أن يهمل السعادة الروحية- بذلك أحلامه الروحية أثرت في تكوين شخصيته.

علما بأن الشابي كان واسع الثقافة فإنه طالع آثار كبار الأدباء من العصر الجاهلي إلى الحضارة الأموية فالعباسية والأندلسية وهذا ما يتجلى في شعره وخصوصا في دوره الأول، كما طالع النتاج الأدبي الحديث والأدب المهجري والترجمات العربية عن الفرنسية، وكان لديه معرفة بالأدب اليونانية والرومانية والإنكليزية والألمانية و الفرنسية.

ومن الملاحظ أن الشابي قد تأثر بالثقافة التونسية والأحوال الإجتماعية، وكان من الممكن أن يتأثر بحال تونس في التعس والفقر والظلم، ولقد أنصف الشابي بلده في شعره فإنه كان في بعض شعره متشائما من إمكان الإصلاح أو أمل النهوض.

على ذلك فقد إعتنى به النقاد بعد وفاته فيقول موسى سليمان: إن الشاعر الكبير أبو

القاسم الشابي الذي أقيم له المهرجان الأدبي في تونس بين 24-28 فبراير 1966) حكومة وشعبا شاركت فيه البلدان العربية بأدبائها وشعرائها، ونخبة طيبة من مفكريها، أبو القاسم هذا كان شاعرا حقا وكان كبيرا حقا، كان شاعرا في كل نفس من أنفاسه، وفي كل نبض من أنباضه ". (15)

التجديد عند الشابي:

في أواسط عام 1926م جاءت نزعة التجديد في تونس ووقع نزاع شديد فيما بين مذهبين أدبيين سمي اتباع أحد المذهبين أنفسهم "المجددين" وكان على رأسهم أبو القاسم الشابي وأطلق المجددون على مخالفيهم اسم "المقلدين" وهؤلاء المجددون كانوا من أتباع مذهب الحرية في الأدب الذين قد تأثروا بالأدب الأوربي تأثرا. (16)

وكان الشابي يلح على التحرر من القصيدة التقليدية والعمل على خلق صياغة جديدة تزيد من ثورة اللغة واعتمد التجديد على ركنين: ثورة على المضمون وثورة على الصياغة.

تأثره بالمهجرين:

ومما لاشك في أن الشابي لم يقتصر في مطالعته على الأدب القديم فحسب بل تمكن بفضل مطالعته الواسعة من استيعاب ما كانت تنشره المطابع العربية عن آداب الغرب وحضارته، وكانت مطالعته في النتاج الأدبي الحديث وفي الأدب المهجري تركت في نفس الشابي وشعره أثرا عميقا باقيا، حيث يقول أبو القاسم محمد كرو:

" إن أثر الأدب المهجري في تفكير الشابي وأدبه يكاد يفوق أثر كل أدب آخر، فقد أكثر الشابي من قرارة الأدب المهجري ومن الحفظ من نثره وشعره في أيام طفولته الغضة... فإذا في نفسه منه أثر لا يمحي ". (17)

وأشارت سلمى خدري الجبوسي إلى بعض الأمثلة لتأثير المهجرين جبران وميخائيل وإيليا أبو ماضي في شعر الشابي قائلة: إن قصيدة الشابي " قلب آلام " متأثرة بقصيدة ميخائيل نعيمة " ابتهاجات " في كتابه "همس الجنون" وقصيدة الشابي " في ظل وادي الموت " متأثرة بقصيدة إيليا أبو ماضي " الطلاسم " في كتابه "الجداول" وبقصيدة ميخائيل نعيمة "يا رفيقي" في كتابه " همس الجنون" وقصيدة الشابي "الحاني السكري" متأثرة بقصيدة جبران

"بأزمات الحب" في كتابه "حيان وميتان".⁽¹⁸⁾ ورأى محمد كرو أن الشابي تفوق على المهجريين فكراً وأسلوباً قائلاً " إن الشابي كان أعمق من جبران وأصدق تصويراً ... وهو يمتاز من أدباء المهجر بدقة بالغة في تعبيره وبراعة فائقة في تصويره".⁽¹⁹⁾

الرومانسية:

لاريب في أن المذهب الرومانسي تجديد في طريق الإحساس والتفكير والتعبير، وثورة ضد الكلاسيكية، وتغيير في مجال الأدب والفن.

كانت تونس كغيرها من البلدان العربية التي أحاطت بها عوامل الإنحطاط والجمود في الشعر، فكان الشعراء كنسخة مكررة، لا ينفرد شاعر منهم بمزية. وكانت الحال هكذا إلى أن ظهرت المدارس الأدبية. وبظهور هذه المدارس وابتشار الصحف الأدبية، نشأ في تونس جيل جديد يخالف التقليد ويدعو إلى التجديد، وكان في دعوته نزاع إلى المذهب الرومانسي. واعتمد التجديد عنده على ركنين: ثورة على المضمون وثورة على الصياغة.⁽²⁰⁾ ولاشك في أن الشابي من الشعراء الرومانسيين وأن شعره متصف بالرومانسية بجميع نواحيها، يقول الدكتور يسين الأيوبي في موضوعات الرومانسية: أما إذا أردنا الحصر والدقة فإن الرومانسية – وبصورة عامة ولا تحس معالجة أي موضوع إلا إذا كان منهصر الوجدان الأديب فاعلاً فيه ومنفعلاً – بمعنى الإنفعال النفسي العاطفي ... لا تخرج عن العناوين التالية: 1- الطبيعة. 2- الحب والألم. 3- الذات الفردية. 4- الموت. 5- التأمل والشرد وأحلام اليقظة.⁽²¹⁾

فالشابي شاعر رومانسي يركزي شعره على الجانب الوجداني من التجربة الشعرية ويتناول فيها موضوعات رئيسية من المذهب الرومانسي. فمن هذه الموضوعات: العاطفية، الطبيعة، المرأة، الحب، الإحساس بالألم والتشاؤم.

النزعة العاطفية:

كان الشابي من الشعراء الذين يؤمنون بأن الشاعرية الحقة هي أن يرتفع الشاعر بروحه إلى آفاق فسيحة أرحب وأسمى من سماء البيئة المحدودة، إلى عالم من صنع الخيال والأحلام، يعبر فيه عن عواطفه وأحاسيسه، حيث يكتب محمد الحليوي عن عاطفة الشابي قائلاً: "

أما الشابي فشاعر أداة العاطفة والخيال وهو نفسه ينكر العقل ويصغر أمره ويراه عاجزا عن الوصول إلى الحقيقة وأنه لا يزال صغيرا رغم مشيبه و وقاره. "(22)

يعبر الشابي عن عواطفه وشعوره في هذه الأبيات قائلا:

عش بالشعور وللشعور فإنما	دنياك كون عواطف وشعور
دنياك كون عواطف وشعور	لتجف لو شيدت على التفكير (23)

فالشاعري في هذه الأبيات يؤثر الحس والعاطفة والشعور على العقل والمنطق، ويدعو إلى تحرير العاطفة والشعور من سيطرة العقل ويسلم القيادة إلى القلب.

ويرى زين العابدين السنوسي أن الشابي يعيش بنفسه ولكنه يجعل العقل رقيبا عليها ثم إن الشعور عند الشابي هو أساس التفكير والشعور هو باعث العقل، ويكتب تعليقا على قصيدة الشابي " عش بالشعور": إن أبا القاسم الشابي لم يعتقد أن العقل رائد الإنسان وقائده بل كان يؤمن بأن التفكير شعبة من شعب الشعور الإنساني، وأن العقل عدة رئيسية في الإنسان قد استخدمتها مشاعره وطموحه ليبلغ منها بعض ما يتطلبه من الهناء واللذة والحق والجمال والتعاطف. "(24)

وصف الطبيعة:

لاشك في أن الطبيعة لم تكن فاعلة مؤثرة كما كانت في المدرسة الرومانسية، لأن الرومانسيين هم الذين عرفوا أسرارها وقيمها وتمتعوا فنشروها كل مكان، طالبين فيها العزاء تارة وخلود النفس إلى راحة متناهية بارزة أخرى. (25)

فكان الشابي شاعر رومانسي يرغب في حب الطبيعة ولا يجد أفضل من الطبيعة لكي يعيش فيها منفردا بعيدا عن الناس ناجيا من تكاليف الحياة مستمتعا بمظاهر الطبيعة، حيث يقول في قصيدته "أحلام شاعر":

ليس لي أن أعيش في هذه الدنيا	سعيدا بوحدي وانفرادي
أصرف العمر في الجبال وفي الغا	بات بين الصنوبر المياد
وأغني مع البابل في الغاب	وأصغي إلى خري الوادي

وأناجي النجوم والفجر والأطيار	والنهر والضياء الهادي
وبعيدا عن المدينة والناس	بعيدا عن لغو تلك النوادي
هذه عيشة تقديسها نفسي	وأدعو لمجدها وأنادي (26)

وأن الشابي يعتقد بأن الإنسان يطمئن في اللجوء إلى الطبيعة ويمثل خيالاته في قصيدته "الغاية":

في الغاب سحر زائع متجدد	باق على الأيام و الأعوام
وشدى كأجنحة الملائك غامض	ساه يرفرف في سكون سام
في الغاب في تلك المخاريف والربي	وعلى التلاع الخضروالآجام
كم من مشاعر حلوة مجهولة	سكري ومن فكر ومن أوهام
أرنبو إلى الأدواح في جبروتها	فاخالها عمد السماء وأمامي
قد مسها سحر الحياة فاورقت	وتمايلت في جبة الأحلام (27)

فالشابي لم يلتفت الى حدود المظاهر الطبيعية الصامتة بل إلتفت إلى مظاهر طبيعية حية مثل البلبل والعصفور والنحل وغيرها من هذه المظاهر وفي قصيدة له بعنوان مناجاة عصفور يخاطب العصفور ويثته شكواه فيقول:

يا أيها الشادي المغرد ههنا	ثملا بغبطة قلبه المسرور
غرد ففي قلبي إليك مودة	لكن مودة طائر مأسور
هجرته أسراب الحمام وانبرت	لعذابه جنية الديجور
غرد ولا ترهب يميني إنني	مثل الطيور بمهجت وضميري
أشدو برنات النياحة والأسى	مشبوبة بعواظفي وشعوري
غرد ولا تحفل بقلبي إنه	كالمعزف المتحطم المهجور (28)

إن هذه الأبيات تدل على وصف الشاعر الطبيعة والمحاكاة لها في غاية الروعة والتصوير.

الحب والمرأة:

إن المرأة في شعر الشابي إحتلت مكانة رفيعة. فقد إتجه الشابي إلى تقديسها والخضوع

لسلطانها. فعاطفة الحب عنده كانت بمثابة تجربة روحية ترتبط بالمعاني الظاهرة والعفة والصمود أمام الشهوات. وإن هذه العاطفة الصادقة جعلته يرى المرأة ملكا هبط من السماء ليطهر النفوس من الأوساخ والأدران، ويرفع عنها الغمة والأحزان، ويسوقها إلى علم الطهارة والأمان، عالم الخيال والأحلام. (29)

إن قصيدة الشابي في الحب والمرأة "صلوات في هيكل الحب" تعد قصيدة وجدانية، صادقة للتعبير عما يجيش في نفسه أو عما يتمنى، جمع فيها غزلا ماديا وغزلا روحانيا، فيقول:

كأللحن كالصباح الجدي	عذبة انت كالطفولة كالأحلام
كالورد كابتسام الوليد	كالسماء الضحوك كالليلة القمر
في مهجة الشقي العنيد	يا لها من طهارة تبعث التقديس
تهدت بين الوري من جديد	أي شيء تراك؟ هل أنت فينيس
مات في أمسى السعيد الفقيد	أنت تحيين في فؤادي ماقد
إلى ذلك الفضاء البعيد (30)	من طموح إلى الجمال إلى الفن

إن الشابي يعالج موضوع الحب والمرأة ويرى الحب غاية آمال الحياة، فيقول:

من السماء فكانت ساطع الفلق	الحب شعلة نور ساحر هبطت
وعن وجوه الليالي برقع الغسق	ومزقت عن جفون الدهر أغشية
إذا ضمني فبري وما فرقي (31)	الحب غاية آمال الحياة فما خوفي

وتجدر الإشارة إلى أن قصائد الشابي "جدول الحب" و"صلوات في هيكل الحب" و"أراك" و"الساحرة" و"تحت العصفور" و"الإعتراف" و"الحب" و"أبيها الحب" و"الجمال المنشود" تعالج موضوع الحب والمرأة، حيث يشير إلى هذا الجانب الدكتور محمود شوكت والدكتور رجاء محمد عيد: قائلًا إن الحب عند الشابي عبادة وصلاة وقدسية في محراب العاطفة النبيلة وهو حب مستكن في كل مظاهر الكون والطبيعة يتجسد أمام ناظره في الفجر إذا لاح وفي الطير إذا شدا وفي العطر إذا انتشر وفي الزهر إذا رق " (32).

الإحساس الحاد بالألم:

إن الإحساس الحاد بالألم قد إنعكس في الأدب وكان في أدب الرومانسيين أشد انعكاسا. وقد عالج الشابي هذا الموضوع في معظم قصائده، وذلك لأنه كان يعاني الأمرين، ضغوط نفسية وضغوط جسمية. فالضغوط النفسية نتجت عن فقدان والده وفراق حبيبته، فضلا عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والإقتصادية التي لحقت بشعبه بسبب الإستعمار والتخلف، إلى جانب ظلم المجتمع والضغوط الجسمية التي نتجت عن مرضه الذي عانى منه كثيرا ورمز إليه في بعض أشعاره.

ومما لا شك في أن الأوضاع المأساوية التي واجهها المجتمع التونسي، وكذا الحياة الصعبة المريرة التي يعيشها هو وشعبه تحت وطأة الإستعمار، أثرت على نفسية الشاعر الحساس تأثيرا قويا مما جعلته يتألم ويتعذب أشد العذاب. وقد أشار الشابي في كثير من قصائده إلى ذلك، ففي قصيدته للتاريخ، يقول:

والمجد والإثراء للإغراب	البؤس لابن الشعب بأكل قلبه
في دولة الأنصاب والألقاب (33)	هذا قليل من حياة مرة

وأشار إلى ذلك شوفي ضيف: إن إحساس الشابي الدقيق لم يقف بالألم عند نفسه بل تعداه إلى أمته إذ وجدها تزرع تحت كابوس الإستعمار الفرنسي وتستشعر منه ألما مريرا، وهو ألم ينبعث من قلبها وصميمها كما ينبعث ألمه من قلبه وصميمه فقد أذلها الفرنسيون، وحولوا حياتها إلى جحيم لا يطاق. (34) حيث يهدد الشابي هذا الظالم الغاشم في عدد من قصائده تهديدا ويهيب في وجه المستعمر ويقول في قصيدته " إلى طغاة العالم":

حبيب الظلام، عدو الحياة	ألا أيها الظالم المستبد
وكفك مخضوبة من دماه	سخرت بأنات شعر ضعيف
وأشربته الدمع، حتى تمل	ورويت بالدم قلب التراب
ويأكلك العاصف المستعمل (35)	سيجرفك السيل، سيل الدماء

فالشابي يشعر بالألم والحزن والكآبة بلوعة الحب العذري إذ ماتت صاحبتة الصغيرة، وأما الكارثة الكبرى في حياته فهو موت أبيه فالشابي يعبر عن ألم هذه الكارثة في قصيدته " قيود الأحلام":

لكنني لا أستطيع ، فإني لي	أما ، يصد حنائها أوهامي
وصغار إخوان يرون سلامهم	في الكائنات معلقا بسلامي
فقدوا الأب الحاني فكنت لضعفهم	كهفا يصد غوائل الأيام
ويقيهم وهج الحياة ولفحها	ويذود عنهم شره الآلام
فأنا المكبل في سلاسل حية	ضحت من رأى بما أحلامي
الويل في الدنيا التي في شرعها	فاس الطعام كريشة الرسام ⁽³⁶⁾

الإحساس الحاد بالتشاؤم:

إن التشاؤم من ملامح الرومانسية ولا خلاف في أن الشابي كان متشائما وكتيب النفس، وذلك لأن الضغوط النفسية والجسمية قد أثرت على الشابي تأثيرا بالغاً أدى به إلى التشاؤم والكآبة، حيث كتب الشابي رسالة إلى محمد الحليوبي عن نفسه قائلاً: إنني في كثير من الأحيان... تطغى على نفسي كآبة الملل المبهم فأصدف عن الكتب والناس ويوصد قلبي عن جمال الوجود. " فالحليوبي كان يعرف الشابي بأحسن وجهه فقسم تشاؤم الشابي في ثلاثة أدوار، ويرى أن الدور الأول كان طور التشاؤم القائم وكان الشابي في أثناء ذلك ينحى نحو جبران وينكب على مطالعة لزومات المعري ويمثل هذا التشاؤم في هذه الأبيات:

لم أجد في الحياة نعما بديعا	يستبيني سوى سكينه نفسي
ناولتني الحياة كائسا دهاقا	بالأماني فما تناولت كأسا
إن في روضة الحياة لاشوا	كآبتها مزفت زنابق نفسي

وكان تشاؤم الشابي في الدور الثاني تشاؤماً مصحوباً بالتعليل: ما نحن؟ ما الحياة؟ ما الموت؟ وغير ذلك. وكان تشاؤمه في الدور الثالث شيئاً من غيوم الكآبة في عيني الشابي وتشرق في ظلمات حياته ومضات من الأمل.⁽³⁷⁾

ولكن عيسى الناعوري الذي قارن بين الشابي والشاعرين "وردزورت" و"كتيتس" في كتابه "أدباء من الشرق والغرب" يقول: فقد كانت نفس الشابي مرآة مصقولة تعكس أقوى وأعماق ما في الطبيعة من صور، ويتصدر عن هذا الإنعكاس تأملات مدهشة في غببتها وكآبتها معاً، وما كانت كآبتها إلا إنعكاس الأعماق السحيقة من الغبطة التي تنشده الإمتلاء الكامل من جمال الحياة والوجود فتصطدم بالحواجر، فتتحول إلى كآبة فتدير روعي الشديد." ⁽³⁸⁾

وأشار شوقي ضيف إلى كآبة الشابي التي ترجع إلى مرضه في الدرجة الأولى قائلاً: إن الدنيا من حوله ليس فيها إلا أشباح الموت وبصره يشاهد هذه الأشباح جاثمة على صدر كل شيء، فيأخذه الفزع من كل جانب ولم يكن هناك وقت يزدحم عليه في الفزع كالليل، وقصيدته "أيها الليل" يقول فيها:

ل، يا هيكل الحياة الرهيب	أيها الليل يا أبا البؤس والهو
من موطئ الجحيم الغصوب	أنت يا ليل ذرة صعدت للكون
ن ويا معزف التعبس الغريب	يا ظلام الحياة يا روعة الحز
ب وتذوي لدى لهيب الخطوب	فيك تنمو زنايق الحلم العذ
تذب الأيام أي ذيب	ويفديك في ضفائر السعود
فاسكب على الصباح حبيبي	إن كأس الحياة مترعة بالدم
ل فما أبعد ابتسام القلوب	إن وادي الظلام يطفح بالهو

فالليل عند الشابي رمز البؤس والهول وعذاب الجحيم، وأي عذاب؟ أنه عذاب المريض الذي تغلق عليه دائرة حياته ولا تنفتح إلا للألم والوجع.⁽³⁹⁾

خلاصة القول أن الشابي يتصف شعره بالرومانسية بجميع نواحيها حيث يركز شعره على الأسس و المبادي التي تتصف بعواطف الحزن والكآبة والتخلص من الظلم والإستبداد والقضاء عن التخلف والجمود الذي يواجهه قومه وشعبه.

المصادر والمراجع

- 1- عمرفروخ: شاعران معاصران ابراهيم طوقان و ابوالقاسم الشابي (المكتبة العلمية ومطبعتها بيروت 1954) ص: 156
- 2- دردانه شاهين الدكتوراة: أبوالقاسم الشابي(2018 حيدرآباد، تيلانجانا) ص 35
- 3- زين العابدين السنوسي: أبو القاسم الشابي حياته وأدبه (تونس 1956) ص: 25
- 4- أبوالقاسم محمد كرو: الشابي حياته وشعره (بيروت 1952) ص: 27
- 5- أبو القاسم الشابي: مقدمة ديوان أغاني الحياة، الدار التونسية، 1966م، ص: 13
- 6- زين العابدين السنوسي: أبو القاسم الشابي حياته وأدبه، ص: 27
- 7- ابوالقاسم محمد كرو: الشابي حياته وشعره، ص: 70
- 8- زين العابدين السنوسي: أبو القاسم الشابي حياته وشعره، ص: 29-30
- 9- عمر فروخ : الشابي شاعر الحب والحياة، دار العلم للملايين، بيروت 1987 م ، ص: 94
- 10- محمد الحليوي: مع الشابي (1955 تونس) ص: 99
- 11- مقدمة ديوان أغاني الحياة: ص، 13
- 12- المرجع السابق: ص، 14
- 13- أحمد قبس: تاريخ الشعر العربي الحديث (دارالجيل بيروت) ص: 566
- 14- محمد الحليوي: مع الشابي، ص، 70-90
- 15- موسى سليمان: خواطر في الأدب (دار الكتاب- لبنان- بيروت) ص، 214
- 16- زين العابدين السنوسي: الأدب التونسي في القرن التاسع عشر(الجزء الأول) الشركة التونسية تونس، 1928م، ص، 205-206
- 17- أبوالقاسم محمد كرو: الشابي حياته وشعره، ص، 58

- 18- دردانه شاهين الدكتور: أبوالقاسم الشابي(2018 حيدرآباد، تيلانجانا) ص،64-65
- 19- أبوالقاسم محمد كرو: الشابي حياته وشعره (بيروت 1952) ص، 70
- 20- خلفية محمد التليسي: الشابي وجبران (1968 بيروت دارالثقافة) ص، 78
- 21- يسين الأيوبي الدكتور: مذاهب الأدب (دارالعلم للملايين 1984 م) ص، 170-171
- 22- أغاني الحياة: ص، 190 ومحمد الحليوي - مع الشابي ، ص، 85
- 23- أغاني الحياة: ص،190
- 24- زين العابدين السنوسي: الأدب التونسي في القرن الرابع عشر- الجزء الأول، ص، 41-40
- 25- يسين الايوبي الدكتور: مذاهب الأدب، ص، 171- 172
- 26- أغاني الحياة: ص، 171- 172
- 27- أغاني الحياة: ص، 266- 267
- 28- عبد الحميد أحمددي: مقال حول مظاهر رومانسية في شعر أبي القاسم الشابي، نشرت في مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة) السنة الأولى - العدد الرابع- شتاء 1390 ش - كانون الأول 2011م، ص 16
- 29- المرجع السابق، ص،18
- 30- أغاني الحياة: ص، 183- 184
- 31- أغاني الحياة: ص، 81
- 32- محمود شوكت الدكتور ورجاء محمد عيد الدكتور: مقومات الشعر العربي الحديث، دار الفكر القاهرة، ص 260
- 33- عبد الحميد أحمددي: مقال حول مظاهر رومانسية في شعر أبي القاسم الشابي، نشرت في مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة) السنة الأولى - العدد الرابع- شتاء 1390 ش - كانون الأول 2011م، ص 20

- 34- شوفي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر، (دار المعارف ، الطبعة السابعة)
القاهرة، ص 150
- 35- ديوان أغاني الحياة: ص 264-265
- 36- ديوان أغاني الحياة: ص 174
- 37- محمد الخليوي: مع الشابي، ص، 90-94
- 38- عيسى الناعوري: أدباء من الشرق والغرب (بيروت 1977م) ص، 66
- 39- شوفي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر، ص 148-149